

جسد منسي ورأس مقطوع

مصطفى علي

نحات يرى الإنسان في هشاشته



الأسطورة في الحياة الشعبية فقد نجح علي في استخراج مفردات اللاوعي الجمعي لكي يكون الآخر الذي يرى بطريقة منصفّة وبريئة. ذلك الطفل المشاغب الذي يرغب في أن يشترك الآخرين في الخديعة.

يرغب في أن يرى من الداخل ما نراه وكأنه جزء من الواقع الذي نعيشه. سيكون علينا أن نتحدى أنفسنا ونحن نسرّ حين نرى رأسا مقطوعا، بالرغم من أن ذلك المشهد ينطوي على الكثير من المعاناة.

سيذهب هذا النحات إلى مستقبله حاملا رؤوسه ليضعها في موقع الشاهد. ولكن ما فعله في أوقات سابقة يؤكد أن ذلك الرأس ينتمي إلى جسد مهمش ومحطم ومنسي. ذلك ما يكمل رؤيته لعالم لم يعد بالنسبة إليه قابلا للاستعادة.

بالعالم. سيكون علينا أن نفكر بمصير الرأس الذي يفكر بمصائرنا. اعتقد أن فتنة السؤال تقود على إلى منطقة غموض كاملة. في لحظة ما ستقطع تلك الرؤوس عن أصلها لتبدو كائنات تجريدية. وهو ما ينتقل بها إلى دائرة السؤال الوجودي الذي يتعلق بمصير الفرد من غير التعليق على ما يجري في هوامش ذلك المصير. ولأن الرأس المقطوع هو جزء أساس من

ضبطها والتحكم بها. سيكون علينا دائما أن نتحدث عن طريقة مختلفة للنظر إلى العالم. وإذا كان فن النحت في عومفه فنا تشخيصيا فإن ابن أوغاريت وضع كائناته البشرية في خدمة الغربية والتمزق والنفي والشغف بالمجهول. سترجيحه فكرة البيت - المتحف. لست خبيرا جغرافيا دمشق القديمة. يقع مشغل علي في الحي اليهودي، هناك بالقرب من باب شرقي. كنت قد اتجهت عام 2011 إليه. شيء ما حدث لا أتذكره جعلني أغبر اتجاهي. لقد حُرمت يومها من رؤية أجمل متحف للنحت الحديث في دمشق.

ذلك الكائن

رأيت طائرا خشبيا. رأيت حصانا من البرونز في ساحة عامة. ولكن الإنسان هو محور عمل علي وركيزته الأساسية. ذلك ما درج عليه النحاتون منذ الحضارات الأولى التي عرفت النحت وحتى نحاتي العصر الحديث. كان الشكل الإنساني هو ملعب المحاولة للوصول إلى نتائج تقنية خالصة. الإنسان في مختلف أوضاعه كان بالنسبة إلى علي وسيلة للاتصال بما يخفيه الكون من أسرار والغاز. لم تكن محاولته وصفية. فهو لم يرغب في إغناء على الجسد الإنساني أو إحاطته بنوع من الغزل البصري كما فعل الإغريق بقدر ما سعى إلى التعرف على ما يخالجه من ألم وبؤس وتعاسة وهو يعيش صراعا مريرا في اتجاهين. صراعه الداخلي حيث تمزج المشاعر الشفافة والمرهفة بقوة تمرّد تنبعث منه، وصراعه الخارجي وهو يواجه ثنائية القطبية والاتصال في عالم لا يقبله إلا بعد إخضاعه.

ولأن الإنسان لديه يعيش حالة تمرّد على جسده والعالم في الوقت نفسه فإنه لا يظهر في هيئة توحى بتعافيه وسكوته وانسجامه. نقبل عليه ويصنّ عنا. أشبه بمرضى يسعى إلى أن يفرد بمرضه.

سؤال المصير

يعتني علي في جزء من عمله بالرأس المقطوع. وهو رأس يظهر في حالات مختلفة. الرأس الحالم والمفكر واليائس والمنسي والتائه والخائف والتعيس والمنتشي. رؤوس مغمضة العينين غير أنها توحى بما يجري في داخلها. رؤوس ليست لبشر بعينهم. إنها تشبه بالأجساد التي تحملها وتخلت عنها في لحظة تماس جارج

حتى في أحلامه العابرة فإنه يرى العالم ثلاثي الأبعاد. تلك ميزة لا يمتلكها كل إنسان. النحاتون وحدهم يحركون أصابعهم المرنة بطريقة دائرية كما لو أنهم يمسكون مادة طرية ليصنعوا جسما ثلاثي الأبعاد. ولكن النحاتين وحدهم أيضا من يفكر بالمادة بموازاة فكرتهم عن إعادة صياغة العالم وتامله بقل.

فاروق يوسف
كاتب عراقي



غير أن هناك صفة ثالثة يختصها النحات السوري مصطفى علي بالامتزاج بميثولوجيا الحضارات القديمة. ذلك العالم الأسطوري الذي تشفى عنه أعماله هو نفسه العالم الذي يعيش فيه ويرتاده كل يوم باعتباره العالم الممكن.

الواقف بين عقله وعاطفته

ابن أوغاريت لا يزال الخيط الذي يربطه بحضارات المنطقة القديمة قويا. ليست هي وجهة نظره العابرة ولا فكرته المبنية على أساس من التفكير العقلي وحسب بل هي أيضا عاطفته التي تجعل العالم هشا.

يصنع علي تماثله من البرونز وهو مادة طبيعة بالنسبة إليه غير أنه يتذكر أن أجداده البعيدين كانوا قد شغفوا بتلك المادة. ذلك لم يمنعه من الالتفات إلى الخشب باعتباره المادة التي تقربه من الطبيعة. ولكنه وقد عشق المادتين وسيلجا إلى المزج بينهما في خطوة جريئة سيكون لها تأثير كبير على أسلوبه الفني الذي يقع بين التقنية والمواد. ذلك المزج الصعب بين مادتين صعبتين سيجعل منه نحاتا آخر.

لقد تأمل علي تجربتي النحاتين جياكومتي وبرانكوزي بعمق. وهو ما أضفى على عمله الفني طابعا يتخطى المحلية. ذلك لأن تأثره لم يكن شكليا بل كان نوعا من العلاقة السحرية التي تقع في منطقة تظل تتمدد باستمرار. هو ابن المعادلة التي لا تقول بنجاة الفرد من مصيره وهي في الوقت نفسه لا تزعم أن ذلك المصير قد قلت من بين يدي الفرد ولم يصدمه.

فن علي يقع في الوسط فهو ليس محافظا ولكنه ليس ثوريا. ترتبط جمالياته بشحنات اليأس التي يتم

فن علي يقع في الوسط فهو

ليس محافظا ولكنه ليس ثوريا. ترتبط جمالياته بشحنات اليأس التي يتم ضبطها والتحكم بها، وهكذا سيكون علينا دائما أن نتحدث عن طريقة مختلفة للنظر إلى العالم

يقول عن نفسه "أنا أشعر أنني امتداد لتاريخ قديم جدا وأشعر أنني أستند إلى جذور عميقة مستمدة إما مما تركه أجدادنا وإما من الثقافة التي تنتقل عبر الميثولوجيا والسير الشعبية وحكايا الناس. لكن بعد هذا الارتكاز لدي معطياتي التي أعيشها كإنسان يجا في هذا الزمن ومعطياتي النابعة من البيئة ومن مجتمعي ومما يحدث حولي في هذا العالم ومما يؤثر على الآن وهنا". في سياق تلك المعادلة بدأ الفنان عمله في النحت. وهي معادلة

